علم اجتماع الثورة وخصائص المجتمع الثوري

د . فوزيه العطيه
استاذة علم الاجتماع المساعده
كلية الاداب / جامعة بغداد

المقدمه :

من المتفق عليه بين علماء الاجتماع ان علم الاجتماع وليد الازمات الاجتماعية والثورات . وبالرغم من المكانه المرموقه التي يحتلها هذا العلم والنتائج الايجابيه التي حققها فان فرعاً من فروعه ، هو علم اجتماع الثوره، لا زال يعاني من الاهمال ، رغم الدراسات العديده التي قام بها عدد من المفكرين الكبار ، امثال جون لوك J. Locke في انكلترا وجان جاك روسو J.J. Rousseau ومكسمليان روبسبير M. Robespierre في فرنسا وتوماس جيفرسون Th. Jeferson وجورج واشنطن G. Washington في امريكا الشماليه وغيرهم ، في مجال الثوره وحق الشعب في القيام بها والبواعث لنشوبها . لقد اتسمت تلك الدراسات بالطابع المثالي، الامر الذي ترك اثره السلبي المباشر في نمو وتطور علم اجتماع الثوره في الازمنه الحديثه . فقد استخلص جون لوك النتائج التي توصل اليها عبر الاحداث الاجتماعيه والسياسيه وعبر عنها بمذهبه الخاص بسيادة الشعب وحقه في الثوره . حيث يرى ان التعاقد بين الشعب والملك ضروري لتنظيم العلاقة وسيادة السلام في المجتمع ، ولكنه يرى ضرورة اقرار حق الشعب في الثوره ، حينما تتجاوز سلطة الدولة حدود التفويض الممنوح لها ، لالغاء العقد والاطاحه بالسلطه . الا انه اعتبر الملكيه الخاصه حقاً طبيعياً مقدساً لا يمكن الغاؤه او المساس به .

ان تلك الدراسات لم تكشف عن العوامل التي تؤدي الى نشوب الثورات ، وانما اكدت فقط على ان الاساليب الثوريه والثوره تتطلبها الحقوق الطبيعيه للانسان وليس بسبب نضج وتطور الحاجات الماديه اللازمه للتغير والتطور الاجتماعي . لقد مهدت تلك الافكار المثاليه ، الطريق للتحولات الاجتماعيه والاقتصاديه العميقه في المجتمعات الحديثه . وقد نشر فرانسواشاتوبريان F. Chateabriand مؤلفه الموسوم (محاولة تاريخيه سياسية واخلاقية في لندن عام ١٧٩٧ ، درس فيه الثورات وعلاقتها بالثورة الفرنسية ، وقد استخدم في دراسته منهج المقارنة . وذهب الى ان الثورة تعني انقطاع التاريخ ، اي انها تفصل بين مرحلتين حيث ان الفكر والاخلاق والقوانين تتناقض في الفتره التي تعقب الثوره عما قبلها[1] .

وحدد للثورة مجالها الطبيعي الخاص ودائرتها التي يحدد محيطها الشعب أو قائد محنك ذو قدرات خارقة تمكنه من تحقيق اهداف الثورة .

لقد بقيت نظرة شاتوبريان هذه غير معروفه ، وظل مؤرخو الثورات يدورون في صراع حاد ويخوضون في متاهات مختلفه من اجل تحديد اسباب الثورة وحدودها التاريخية الخاصة بها . وقد سيطرت في أواخر القرن الثامن عشر افكار رواد الفلسفة الالمانية الكلاسيكية المناوئة للاساليب الثورية . فقد عارض ايمانويل كانت Kant الثوره ودعا الجماهير للخضوع الكامل لرأي حاكم ارهابي ، وقد كانت عقيدته الاصلاح لا الثوره ،وعلى يد الصفوه élite أو السلطه لا على يد الجماهير او الشعب .

وفي النصف الثاني من القرن التاسع عشر بدأ علم الاجتماع البرجوازي يعارض افكار الثورة الاجتماعية ويرفض مبادءها ويضع بدلها مفهوم التطور

---

(١) شاتوبريان مفكر فرنسي (١٧٦٨ ـ ١٨٤٨) ، هاجر الى انجلترا ثم عاد اثناء الثوره الفرنسيه الى فرنسا ثم هاجر الى انكلترا وعاش فيها في عام ١٧٩٢ . انظر

André Decouflé, Sociology des Révolution, P.U.F. France 1960. p. 5

الاجتماعي الذي يمكن ان يتحقق بصوره تدريجيه وتلقائيه لاحداث التغيرات الاجتماعيه المطلوبه .

وقد شبه هربرت سبنسر الثورة الاجتماعية بالاوبئة والمجاعات التي تؤدي الى خلق الاضطراب الاجتماعي والتفكك وتؤدي الى احداث الفوضى بدلا من النظام والاستقرار . كما أعلن فردريك نيتشة F. Nitzsché العداء للثوره ورفض التغيرات الاجتماعيه الفجائيه والجذريه(٢) .

ان علم اجتماع الثوره يتعرض لاخطار كبيره تتحدد بهوية الذين يبحثون فيه ، الامر الذي أدى الى اختلاف النظريات التي يقدمها علماء الاجتماع لتحديد معنى الثورة .

معنى الثورة وانواعها :

يؤكد اغلب المؤلفين الذين كان طموحهم دراسة الثورات دراسة مقارنة من اجل التوصل الى تحديد السمات الاساسيه للثوره ، على ان دور علم اجتماع الثوره يمكن ان يختلف تبعا للاتجاه الفكري للباحث في هذا الموضوع ، حيث ان هذا العلم يجمع بين افكار وقيم متنوعه يمكن للملاحظ ان يميز بينها ويحدد هويتها .

لقد اجمع المؤلفون الاوربيون المحدثون على الربط بين الثوره والتصنيع واعتبروا التصنيع من خصوصيات الجماعات التي تتمكن من استيعاب المنافع الاجتماعيه التي يحققها ، ولذا فهي لا تتمكن من معرفة مزاياه وتوضيحها ، اما القادة الثوريون فيمكن تصنيفهم الى فئات وشرائح مختلفة وذلك مثل المثقفين والعمال والفلاحين والعسكريين . اما المفهوم الواسع الانتشار فهو (القوى الثوريه) ، التي يعتمد في وجودها على العمل الجماعي في المجتمع ، وهي بهذا التحديد يمكن ان تضم الطبقه العامله او الفئات الفلاحيه أو المراتب الوسطى التي تخضع وتذعن لمصالحها ولضغط الاحداث الثوريه او لتلقائيتها التي تحددها قدراتها المختلفه .

---

(٢) إيوري كرازين ترجمة شوقي جلال ، علم اجتماع الثوره ، دار الثقافه الجديده ١٩٧٤ ، ص ١١ .

لقد تنوعت تعريفات الثورة واختلفت اختلافاً متباعداً حتى وصلت الى اخضاع اهم التحولات الثورية والانقلابات العسكرية والتعديلات الوزارية اليها فمجموعة الدراسات التي قدمها مركز الدراسات الدولية في جامعة برنستون والتي تضمنها كتاب « الحرب الداخلية » حيث تمثل الثورة الموضوع الرئيس فيه وقد جاء فيه «ان الثورة تعني محاولة استخدام العنف أو التهديد بالعنف لتغيير ساسة حكومة او تغيير الحكام[٣] . » وهذا يؤكد ان تعريف الثورة لم يقتصر على تغيير سياسة الحكومة فحسب وانما ضيق الدائره فحصرها بالتعديلات الجزئية التي يتعرض لها نظام الحكم أو التعديلات السياسيه الطفيفه .

ويعرف المفكر الانكليزي برينتون الثورة بانها « محاولة خارجه على القانون وتتسم عادة بالعنف لغرض تغيير الحكم القائم »[٤] . هذا التعريف يقتصر على العلاقات السياسيه البسيطه ويمحو الحدود الفاصله بين الثوره التي تهدف الى اجراء تغييرات جذرية شاملة وبين التغييرات السياسية الجزئية التي قد لا يترتب عليها أي تغير جوهري في الحياة الاجتماعية والحضارية . كما يتضمن هذا التعريف مفاهيم الثورة والثورة المضادة . اما سيجمون نيومان S. Neuman فيقول « ان الثورة تعني التحولات الجذرية للتنظيم السياسي والبنية الاجتماعية ونظام الملكية الاقتصادية بل ويشمل حتى الاسطورة السائدة »[٥] . ويعتبر الثورة طفرة في التطور التاريخي وبذلك يفصل بينها وبين الانقلاب الا انه لا يفصل بين الثورة والثورة المضادة .

ان الثورة الاجتماعية تمثل صورة من صور الانتقال من وضع الى آخر ، ويكون الهدف الاساسي فيها الغاء العلاقات الانتاجيه التي تعوق التقدم الاجتماعي . وقد تحدث اثناء التحولات الفجائية الثورية ثورة مضادة

---

(٣) بودي كرازين ، المصدر السابق ص ٢٦ .

(٤) نفس المصدر ص ٢٧ .

(٥) وهذا ما يمكن ملاحظته في مسار الكثير من الثورات في البلدان النامية .

أو فترات وفاق سياسي ، وهذا هو السبب في ان الثورة الاجتماعية يجب ان تصاحبها ثورات سياسية وذلك مثل الثورة الفرنسية بين عامي ١٧٨٩-١٨٧١ ، التي استغرقت زمناً طويلا . وتعمل الثورة السياسية على اكمال مهمة الثورة الاجتماعية ، وهذا ما جعل الثورة الاجتماعية صورة من صور الانتقال الفوري من وضع اجتماعي ـ اقتصادي بالٍ الى وضع اكثر تقدماً في خاصيته المميزة له ومحتواه السياسي ، من اجل انتقال السلطة السياسية الى الطبقات الثورية في المجتمع .

ان أية محاولة لفهم وتعريف الثورة بمعزل عن سياق الاوضاع الاجتماعية الاقتصادية المميزة سيحول دون مشاركة علماء اجتماع الثورة في تحديد مسارها ولا يمكن ايضاح الميكانيكية التي توضح كيفية نشوء وتطور العملية الثورية .

وثمة عدد من علماء الاجتماع عملوا في اطار المنهج البنيوي الوظيفي بهدف كشف المصادر الموضوعية للتغير الثوري داخل نسق الظواهر الاجتماعيه . ومن ابرز ممثلي هذا الاتجاه تالكوت بارسونز T. Parsons الذي يعتبر الثورة انحرافاً مرضياً يؤدي الى خلخلة التوازن في بناء السلطة . اما روبرت ميرتون فيطرح مفهوماً خاصاً به اسماه « الاختلال الوظيفي » ليبرز من خلاله الصراع الاجتماعي في النظرية الوظيفيه البنيوية . ويعتقد ميرتون ان الاختلافات الوظيفية قد تؤدي بالمجتمع الى حالة عدم التوازن والاستقرار ، وهنا يصبح التمرد هو الرد أو الاستجابه لهذه الحالة ، وعندما يصبح التمرد مستقراً في جزء أساسي من المجتمع فانه يشكل قوة كامنة للثورة التي تعيد تشكيل البنية المعيارية والبنية الاجتماعية[٦] .

---

6. Robert K. Merton, Social theory and social structure, Enlarged edition, New Delhi, 1968 p.p. 100—245.

ويرى جونسون ان النموذج المجتمعي الوظيفي البنيوي قد يعتبر انعكاسا لمجتمع مستقر Static . وان الصفة الاساسية لهذا النموذج المثالي هي حالة السكون والتوازن ، وهذا مالا يمكن تحقيقه بصوره تامه . وان أي نظام يتعرض لخلل في احد اجزائه ينعكس اثره على النظام برمته . ان الظواهر التي تسبب اختلالا في توازن المجتمع والتي تتطلب اجراء علاجيا لاستعادة التوازن ، مثل تلك الحالة نسميها اختلالا وظيفيا .(٧) وان هذا الاختلال الوظيفي الذي يتعرض له المجتمع يوجب التعديل أو التغيير ، واذا قاومت السلطة هذا التغير وتجاوز الاختلال الوظيفي القدرة على تغيير النظام فان التغييرات تكتسب طابعا ثوريا اي ان الصراع بين المؤسسات الاجتماعية والتناقضات القائمة بين البنى والعمليات الاجتماعية المختلفة يؤدي الى وقوع الثورة . وان كان هذا التفسير لا يكشف عن الاسباب التاريخية للثورة الاجتماعية ، أي لا يشير الى مصدر الاختلال الوظيفي أو التناقضات، ولا يميز بين مظاهر الاختلال الوظيفي وبين التناقضات التي تظهر في اي مجتمع سواء تلك التي تؤدي الى الثورة أم التي لا تؤدي اليها .

ان علم اجتماع الثورة يجب ان يستند بدراسات علميه مقنعة عن الحركات الثوريه وان تشابهت الثورات الشعبية . والثورة تمثل النظام المادي والفكري المناقض لفترة ما قبل الثورة وتعني محاولة التفتيش عن مستقبل افضل ، وهي نهيض الركود والمحافظه ، وبالتالي فهي تمثل ظواهر اجتماعية تغير المجتمع وتقلب أوضاعه وتقطع بين مرحلتين متناقضتين .

ان صفة الثوره الشعبيه هي الاستمرار وعدم التوقف . وان الافكار الثورية في علم السياسة ظهرت في القرن الثامن عشر ، حيث ان مونتسكيو أعلن بأن النظام الطبيعي للثورة الشعبية هو « روح القوانين » ، ولكن حتى رجال الفكر بما فيهم روسو ومونتسكيو وثوار فرنسا عام ١٧٨٩ أنفسهم لم يعطوها المعنى الجديد وربما يمكن ان تفسر الثوره من خلال التقاليد

---

(٧) يوري كرازين ، نفس المصدر السابق ص ٣٠ .

الاشتراكية وتقاليد الثورة المضادة التي سادت في القرنين التاسع عشر والعشرين . والثورة في الانسكلوبيديا الاشتراكية تعني « الجهود المكرسة لتحقيق الانتصارات للحركات العماليه ، وهي التغيرات الجذريه والشامله للنظام والمفاهيم والمبادىء ، وهي تعني التحرر الانساني والاجتماعي »[٨]

والثورة تعني لدى معظم المفكرين المعاصرين « الخلق التاريخي »[٩] . وهذه النظره للثوره تفرض التمييز بين الاصلاح والثوره وكذلك بين الثوره والانتفاضه . فالثوره سريعه على عكس الانتفاضه التي تمتد لفتره زمنيه اطول ، فثورة ١٨٣٠ في فرنسا كانت بمثابة انتفاضه Insurrection لانها امتدت لمدة ثماني عشرة سنة . أما كمونة باريس ١٨٧١ ، والتي حاول أعداؤها وصفها بالانتفاضة البسيطة فهي في الواقع ثورة دامت بضعة أسابيع فقط .

ان هذا التمييز بين الثورة والانتفاضة لا يتناقض مع ما وصفت به الانتفاضة من حيث كونها وسيلة خاصة للاستحواذ على السلطة بالقوة .

ومما سبق يبدو ان علم اجتماع الثورة ما زال في بداية ظهوره ، وان الثورة ما زالت تشغل افكار المنظرين السياسيين وعلماء النفس الاجتماعي ، ومن المفيد ان نستعرض الابحاث الاساسية التي حددت محتوى الثورة وقوانينها في هذا المجال .

يربط أغلب الباحثين تاريخ علم اجتماع الثورة بالثورة الفرنسية ١٧٨٩ – ١٧٩٩ ولكنه تفرع الى اتجاهين الاول سلمي ممثل بمدرسة تيرير Thiers ، والآخر يميل الى العنف وممثل بمدرسة ميشليه Michelet

ان نظرية الثوره السياسيه الفرنسيه للقرن التاسع عشر أيدت امكانية قيام الثورات ضمن اطار الثوره الفرنسيه ، ويعتقد توكفيل Tocqueville بان ليس هنالك حدث اكبر واطول مدى واكثر تهيئة من الثوره الفرنسيه

---

(٨) اندريه دوكفيله ، المصدر السابق ص ١٢ – ١٣ .

(٩) اندريه دوكفيله ، المصدر السابق ص ١٣ .

لعام ١٧٨٩ ، فالتقدم العلمي يسير جنباً الى جنب مع المعرفة « بالديمقراطيه » المتصاعده في المجتمعات الصناعيه • الا ان دراسة الثوره وتحديد معناها اتجه اتجاهاً خاصا في فرنسا ، لان الباحثين الذين اهتموا بدراسة هذه الظاهره بدأوا من منطلقات نفسية وذاتية مثل تارد ولوبون ودوفيليس Tarde, Lebon و De Felice .

• كما ان دراسات ميرلو ــ بونتي Merleau-Ponty والعنف في مؤلفه « الانسانيه والعنف » وجان ــ بول سارتر في مؤلفه نقد « المذهب الديالكتيكي العقلاني » وغيرهم من الفرنسيين الذين بحثوا في الحركات الثورية كانوا بعيدين عنها في دراساتهم تلك بعض الشيء • لقد فسر سارتر مشروع الثوره على انه عملية كسب جمعي يتساوى فيه الجميع ، واعتقد بان الاحكام التي وضعها الاجتماعيون في وصفهم للثوره كانت متسرعه وغير واقعيه ، وغير موضوعيه، خصوصاً في تفسيرهم لسلوك الفرد في موقف الجماعة الثوريه ، وما يخضع له من تغيرات نفسيه وعقليه تدفعه الى العمل الجمعي المشترك • ويعتقد سارتر ايضاً انه ليس هنالك موقف ثوري مثالي ، الامر الذي يتطلب الوقوف على الجوانب المتشابهه والمختلفة في الثورات لتحديد معناها • وقد يكون الرعب الجمعي احد الجوانب المتشابهه في الثورات والذي يؤدي الى خلق الجمع الثوري ، لذا يجب التعرف على وظيفة الرعب وتحليل العناصر التي تخلق الجمع الثوري •

ان دراسة الثورات والظواهر الحشديه في فرنسا والتي اتجهت اتجاهات فلسفية تقابلها دراسات أخرى في أمريكا الشمالية اتجهت اتجاهاً آخر استند في تحليل الثوره وتحديد معناها على نقد الثوره الروسيه ١٩١٧ وامتدادها في اوربا الغربية بعد الحرب العالميه الاولى ووصفت هذه الدراسات الثورة بكونها تتعارض مع النظام والحرية الديمقراطية وتؤدي الى عرقلة التغير ، كما اعتقدوا بامكانية التنسيق بين الصراع والعلم لخلق مشروع الثوره المضاده ، واهم من برز في هذا الاتجاه سوروكن بارسونز وموريتو وغيرهم،

وقد ربط سوروكن بين الثورة وافساد السلوك البشري في مختلف مجالات الحياة من اقتصاديه ودينيه وخلقيه وجمالية وقد وصف الثورة بانها عباره عن خلعه[١٠] تؤدي الى افساد الشعور نحو الملكيه وعلاقات العمل وعلاقات الرئيس بالمرؤسين والاتجاهات الدينية والخلقية والجنسية .. الخ، وخصوصا في مؤلفه الذي وضعه عام ١٩٢٥ « علم اجتماع الثورة » .

لقد تطور النقد الى حد حمل عددا كبيرا من علماء الاجتماع الى الرغبه في منع الفلاسفه من استخدام النظرية الديالكتيكيه مثل منطق الحريه الذي يربط الجماعة بالتاريخ . ان هذه الظاهرة تكمن في كيفية تمكن علم الاجتماع من تحليل الثورة وتحديد معناها وأنواعها من خلال الصراع الذي يقتسمه العالم اليوم ، والذي يمكن تفسيره بانه صراع بين الحضارة التقليدية والحضاره الثوريه ، بين المحافظه والتحرر .

عوامل نشوب الثورة :

ما هي طبيعة العوامل التي تؤدي الى نشوب الثوره ونجاحها ؟ هل هي ظروف المجتمع الصناعي والاوضاع الاقتصادية والاجتماعية المتناقضه فيه ؟ ام هي الظروف والاوضاع السياسيه والاقتصاديه والاجتماعيه التي يعاني منها المجتمع النامي أو المتخلف ؟

يعد علم اجتماع الثوره نموذجا للتغير الاجتماعي المادي والفكري وان مجال علم الاجتماع يتحدد بدرجة مساهمته في الازمات التي يجابهها المجتمع وان مسألة الواقع الفلسفي لعلم اجتماع الثورة لا يمكن معالجته بمعزل عن التصور الاجتماعي للثورة نفسها .

ولاختيار مواد الملاحظة الخاصة في الطريقة الثورية في العالم بشكل عام وما يليه الفكر البشري من ايديولوجيات وتفسيرات ، فان علم اجتماع

---

10. André Decouflé op. 15-18

(١٠) اندريه دوكفليه المصدر السابق ص ١٥ ــ ١٨ .

الثوره يجب ان يمتزج بالمذاهب الثوريه والتحليل العام . ولا يكفي لعلم اجتماع الثوره ان يميز بين الظواهر الثوريه والحركات الاجتماعيه الاخرى، وذلك للتوصل الى فهم التغيرات الفكرية والاجتماعية والابتعاد عن وضع الاوصاف التي تذهب الى وضع نموذج للثوره متذرعين بان الثورات يجب ان تخضع لحدود معينه والحقيقه ان الثوره يمكن اعتبارها عمليه تجديد مستمرة لا يمكن قياسها بظواهر محدودة وانها لا تتحقق بمجرد الوصول الى الحكم ، لان الثوره صراع طويل بين الطبقات الاجتماعيه الكادحه من جهة وبين مستغليها من جهه اخرى ، وهذا يعني ان مهام الثوره تتجدد وتتحدد من خلال الآفاق الجديده التي تتوغل فيها ، وان هذه الافاق تشكل المعالم الجديدة التي تواجهها كل ثوره في حدود واقعها المتميز وظروفها المفروضه.

هنالك رأيان في تحديد اسباب الثوره ، الاول يرى ان الثوره تحدث نتيجة للانتقال الفكري والتغير الحضاري ، وهذا هو رأي العلماء الغربيين امثال دركايم Durkheim وبارك Park وسوركن Sorokin . اما الرأي الآخر فيرى ان اسباب الثوره هو النزاع الاقتصادي ، كما يعتقد الاشتراكيون . الان الثوره عند اصحاب هذين الرأيين هو امر حتمي يفرض نفسه على الانسان والمجتمع فرضاً . والتغيرات الحضاريه الحتمية في المجتمع تؤدي الى أحداث أزمة حضاريه « ثوره » تؤدي الى تغير النظام الاجتماعي والاقتصادي والسياسي من شكل الى اخر . ان فقدان التوازن وقيام الثوره يؤدي دائما الى تغير نحو الافضل ويساعد على قبول الجماعات للتغيرات الحضاريه المطلوبه على اختلافها . فالتغيرات والاصلاحات قد تلاقي الفشل اذا لم تأت نتيجة حدوث ازمه « ثوره او ما شاكلها »(١١)

---

(١١) قد تؤدي بعض الحركات الاجتماعيه كالانقلابات مثلا الى احداث الاصلاحات السطحيه وليس الجذريه كما تفعل الثوره .

Maurice Duverger, Sociologie de la Politique, P.U.F. Frane 1973, P. 216.

ان الثوره الاجتماعيه ليست ظاهره قائمه بذاتها ، بل تتغير دائما بسبب مجموعة من العلاقات الاجتماعية المتصارعة ، كما ان الطبيعة الموضوعية للثورة لا يمكن تحديدها دون الاشاره الى النظام الاجتماعي ـ الاقتصادي القائم في المجتمع . فطبيعة التناقضات الاجتماعيه والاقتصاديه هي التي تؤدي الى حدوث الازمات الاجتماعيه (الثوره) . وان الحاجه الملحه لحدوث تحول نحو نظام اجتماعي اقتصادي افضل هي التي تؤدي الى الثوره .

ويمكن تصنيف الثورات بحسب طبيعة القوى الاجتماعيه وانتماءاتها الطبقيه الى ثلاثة اصناف رئيسيه هي[١٣] :

١ ـ الثوره ضد النظام العبودي

٢ ـ الثوره البرجوازيه

٣ ـ الثورة الاشتراكيه

ان نمط الثوره الاجتماعيه يتحدد بطبيعة الفئات المشاركه فيها وبالتركيب الطبقي للشرائح الاجتماعيه ودرجة الوعي الاجتماعي والسياسي لها وطبيعة العلاقات الاجتماعية التي تربط فيما بينها . وهذه المؤشرات تحدد عمق التغيرات الثوريه وطبيعتها سواء كانت ثورة تقودها صفوه[١٤] ، اي نخبه تمثل مجموعه من الافراد يتميزون بخصائص وقابليات « غير اعتياديه »، أم تقودها المنظمات الجماهيرية الشعبية .

ويعتقد سارتر في مؤلفه « نقد الديالكتيكيه » ، ان الثوره عمليه كسب جمعي ، يتساوى فيه الجميع ويبحث سارتر عن الجوانب المتشابهة في الثورات

---

(١٢) عبدالمنعم الغزالي الجبيلي ، تاريخ الحركة العمالية والنقابية في العالم منشورات مكتبة النهضه بغداد ١٩٦٤ ص ٩ ـ ١٥ .

(١٣) ان مفهوم الصفوه او النخبة اثير من قبل المفكرين الليبراليين وذلك لمعارضته المفهوم الماركسي في الطبقات الاجتماعية ، حيث يرفض اصحاب هذا الاتجاه وجود طبقيه في المجتمع الراسمالي ويعتقدون بوجود تراتب اجتماعي تتمثل فيه ظاهرة الحراك الاجتماعي وليس الصراع الطبقي .

قبل حالات القلق الجمعي والرعب الجمعي والعنف الجمعي وما تتركه من آثر في المجتمع الثائر ، والتغيرات التي يخضع لها الفرد في موقف الجمع الثوري بحيث يصبح قادرا على العمل الجمعي المشترك . ان تحول القلق الثوري او الجمعي الى هياج جمعي يشتد بتأثير عوامل نفسيه ـ اجتماعيه تهيء الى احداث الثوره ، واحداث السلوك الجمعي الهائج والمنظم ضمن ايديولوجيه معينه لتحقيق اهداف تبغيها ، فتوزع الادوار بحسب مستلزمات الحركه الثوريه تبعا لمراحلها المختلفه[١٤] .

لقد لاحظ بعض علماء الاجتماع مثل سوروكن وموريتو وبارسونز وغيرهم ، الذين أثارتهم الثورة الروسية عام ١٩١٧ وامتدادها في أوربا الغربية بعد الحرب العالمية الاولى واعتقدوا بأن حدوث الثورة سيسبب تعارضاً بين النظام والحريات الديمقراطية نادوا بضرورة قيام الثوره المضاده لاعتقادهم بان الثوره تعرقل التغير والتقدم في المجتمع .

فمستلزمات دراسة الثوره تلزم الباحثين بتحليل كل ثورة منذ بداياتها ، وان هذه الدراسة يمكن ان تمر خلال ثلاثة مستويات ، العلاقات العامه بين الثورة والمجتمع الكلي ، وخصائص المشروع الثوري وانماط ادراك الجوانب الحقيقية لمشروع الثورة . وعندما تتسع الشقة بين الجماهير وبين الطبقة الحاكمة وتتناقص الثقة بين السلطة وأعمالها وتنتشر التيارات الفكرية الجديدة المناوئه للسلطه ويظهر الارتباك والتحلل في التنظيم الاجتماعي وتضعف قوة وهيبة السلطه السياسيه في المجتمع وتتضاءل كفاءة الفئه المشرفه على النظام الاجتماعي ـ الاقتصادي القائم ،تظهر الازمات الاجتماعيه وتتفاقم الكوارث وتصعد من نضال الجماهير وتزيد من نقمتهم ، وقد يعبر عنها بالتظاهر الجماهيري او الاضرابات المتواليه او باغتيالات بعض الزعماء البارزين في السلطه ، ومن الطبيعي ان يصاحب ذلك قلق جمعي واضطراب حشدي ويصبح المجتمع مهيأ للعمل الثوري .

---

14. Jean Stoetzel; La Psychologie sociale Flammrion, Paris 1963, P.P. 230—233.

ان الوضع الثوري يرتبط بالبؤس العام . فالمجتمعات الصناعية والمدن الكبرى تضم عادة فئات اجتماعيه كثيره تعيش على هامش المجتمع مثل المتسولين والمشردين والعاطلين عن العمل ، وهؤلاء يحسون في اعماقهم بالشعور بالثوره على النظام القائم ، اما في المجتمعات الناميه ، في اسيا وافريقيا وامريكا اللاتينيه ، فان نفس هذا الشعور يظهر لدى الجماهير الفلاحية في الريف وبين الفئات الفقيرة في المدينة . الا ان هذا البؤس لا يؤدي الى الثوره ما لم يظهر التنظيم وما لم يكن هناك هدف وصوره لنموذج المجتمع ونظامه المرغوب فيه ، ويطلق فرانسوبيرو François Perroux على هذه الصورة « الصورة الرائدة » . اما بول هنري شومبارت دولو P.H.C. De Lauwe فيؤكد على ان المشروع الثوري الجمعي هو اكثر من مجرد صوره وهو سلوك مشترك يعمل على تحسيس اوضاع المجتمع من خلال اشراك الجماعات كليا فيه . وهناك نموذجان من المشاريع الثوريه يمكن التمييز بينهما : المشروع المتحكم المسيطر والمشروع الثوري . والمقصود بالاول المشروع ذو النظام المستبد والذي هو عباره عن مجموعه متناسقه من المشاريع الفرديه (الليبراليه) Néo-Libéralisme تتركز فيها خطورة تناقض المؤسسات المعارضه لصالح المؤسسات الشعبيه . أما المشروع الثوري فهو يتعارض مع المشروع المسيطر « المشروع القائم »[١٥] ، وهو يتصف بكونه جماعيا .

ان هذا يجب الا يؤدي الى الخلط بين تجربة البرت كامو Albert Camus التي تؤكد على ثورة الانسان الرافض الذي يعاني من ثوره ذاتيه خياليه تتعارض مع اساس العداله التي تدفعه الى رفض الظلم والثوره عليه وبين المشروع الماركسي للثوره الذي يستند على اسس موضوعيه ماديه ، يعاني

---

(١٥) بيير لاروك Pierre Laroque, Les classes sociales, P.U.F. FRANCE, 1968, pp. 19-23.

منها المجتمع والفئات ذات النسبه الغالبه فيه ، حيث يعتقد كامو ان الانسان الرافض والثائر سيعتاد « احتراف الثورة » ولا يعتقد بوجود قوى اخرى تتحكم بمصيره .(١٦)

هنالك اختلاف بين المشروع الثوري غير المنظم وبين الجماهير المنظمه التي تسعى الى ممارسة السلطه . وان خصائص الجمهور او الحشود ومفهوم المشروع الثوري تؤدي بالضرورة الى المقدرة على الاتقام بحسب النموذج العقلي السائد في ذلك الجمهور وطبيعة ظروفه ومقتضيات مصالحه ، والتي تتحدد بموجبه مسيرة الثوره . فقد تتخذ الثوره صوره ثوره دمويه أو ثوره سلميه وذلك بحسب طبيعة الظروف الموضوعيه السائده في المجتمع .

فالتمييز بين الصوره والمشروع « اللذين اشرنا اليهما في الصفحات السابقه » ، يمكن ان يجنبنا صورة الثوره الدمويه او السلميه ، وان تحليل المصطلحات الثوريه هو الذي يحدد شكل مساهمتها ، وهذا دليل على الهوة الفاصلة بين التعبير الشعبي للمشروع الثوري وبين الحاله الاوليه التي تمثل التنافس بين الجماعات الاجتماعية المختلفة من أجل الاستحواذ على السلطه .

فالثورة لا تؤدي الى تراكم العنف ولا الى ظهور مجموعة مؤسسات فردية مختلفه ، وانما هي تستند على تخطيط (مشروع) لتحقيق المجتمع السعيد الخالي من البؤس . ومن هنا تبدو ضرورة تحليل مفهوم الثوره وتمثيلها للعمل الجمعي المحرك لها وفيما تحققه من نتائج عمليه . وعلى المستوى الفردي قد يبدو المشروع الثوري وكأنه عالم جديد يحقق له المكاسب التي يسعى اليها .

---

(١٦) اندريه دوكفيله ، نفس المصدر ص ٢١ .

فالثورة الثقافية الصينية مثلا ، ترفض العالم القديم الذي سبق الثورة وتسعى لتغيير المجتمع عن طريق الثوره • ومن الطبيعي ان يتحدد المشروع الثوري في هذه الحاله بطبيعة المجتمع وظروفه الموضوعيه فهو يختلف في المجتمعات الناميه من حيث انها تعاني من فقر وبؤس عام عنه في المجتمعات الصناعيه التي يعزز فيها الواقع اوضاعاً واحوالا مختلفه كل الاختلاف عن تلك المجتمعات •

فالمشروع الثوري في المجتمعات الناميه تقوده الفئات الوسطى (البرجوازيه المتوسطه) ، التي تشكل اقليه بالنسبه للجماهير الفقيره ، الا انها تبعد في الوقت ذاته مساهمة الجماهير الفقيره في الاداره والابداع الفكري ، الامر الذي يؤدي بهم الى التفكير بخلق مشاريعهم الثوريه التي تنسجم مع طبيعة حياتهم وتطلعاتهم • فتظهر الطبقات الفقيره وكأنها تخوض انتفاضات تلقائيه من باب الضغط على السلطه •

ان الحركات الثورية في البلدان النامية تعاني من سلبيات عديدة ، تؤدي الى ان تتجه الثوره فيها الى احاطة نفسها بمعتقدات سائده في تلك المجتمعات وان هذه الروح الثوريه التي تتصاعد لدى الجماهير في البلدان الناميه وغير اقتداره على قيام مضمون رسالة التحرر لا تتمكن من انجاز التحرر الجماهيري • ان المشاريع الثورية في المجتمعات الناميه تمزج غالبيتها بين الدين والسياسه وغالب ما تتخذ الدين واجهه لتحقيق الاهداف السياسيه في مرحلة معينه • فالحركات السياسيه كثيرا ما تصطبغ بالصيغه الدينيه ، وتتخذ الدين واجهه لها من اجل تحقيق اهدافها • ولعل الحركات المناوئه للحكم في العصر العباسي كالزنج والقرامطه والبابكيه قد اعتمدت الدين واجهه لها ودعى اصحابها اتباعهم الى البيت العلوي لغرض التأثير على الجماهير واكتساب تاييدها • وقد تأخذ الحركات الثورية طابعا آخر عندما تتخذ الدين وسيلة من اجل استثارة الجماهير للدفاع عن حقيا عندما تتعرض الامه الى الخطر او يتعرض الوطن الى الغزو •

ان علم اجتماع الحركات الاجتماعيه والتغيرات الاجتماعيه يهتم بالوظيفه الدينيه في البلدان الناميه من اجل الصراع ضد الاستعمار واخذه شكل مقاومه شعبيه للدفاع عن الوطن ضد السيطره الاجنبيه ، اذ يمكن عن طريق العامل الديني استقطاب الجماهير وخلق نوع من التضامن بينهم لخوض الصراع ضد الاستعمار والتحرر من سيطرته . لان تشتت الجماهير الكادحه في البلدان الناميه وسمو الروابط العائليه يؤدي الى نوع من الشعور الجماعي تجاه العائلة أو القبيلة أو الدين ، والشعور بالتفرد نحو الوطن أو الامة احياناً .

وقد يكون الدين سلاحاً ذا حدين احياناً ؛ حيث يمكن استخدامه في الشكل المعاكس ، لان الاستعمار الذي يرتكز على الاقطاعيين وشبه الاقطاعيين الذين يشكلون الحليف التاريخي لسياسته وكل المرتكزات التي يعتمدها تتوثب عندما تجد تحولا جماهيريا ينشط لاستعادة الحق وانهاء حالة الاستعباد . وفي اطار هذا التحرك يتوجه المستعمرون الى محاولة تمزيق الوحدة الوطنيه وايجاد الخنادق بين الفئات الشعبيه عن طريق الدين لامرار ما يهدفون الى تحقيقه وذلك بايجاد المظلات التي يمكن ان تستظل بها تلك المحاولات وبذلك يستخدم الدين استخداماً مناهضا لتطلعات الجماهير ويسخر رجاله تسخيراً يبعدهم عن المهمة السمحاء التي جاء بها الدين .

ان الثوره لا تستطيع تحقيق بعض المفاهيم المقترحه ، فالتمييز بين الاصلاح والثورة مسألة تحتاج الى دراسة ظروف كل منهما وظروف المجتمع الذي تولد فيه ، فالثوره تتصف بكونها سريعة وحاسمه ؛ اما الاصلاح فيأخذ طابع الانجاز وفق فترات زمنيه طويله نسبياً .

وكذلك الامر بالنسبة للثوره والانتفاضه ، فالانتفاضه تعني الاصلاح الاجتماعي ؛ اما الثوره فتحقق تغيرات جوهريه اساسيه في المجتمع وكذلك بالنسبه للزمن فالانتفاضه تستغرق وقتا اطول في الوقت الذي تنتهي الثوره نهاية سريعه وحاسمه .

اما بالنسبة للمجتمعات الصناعيه ، فان المشروع الثوري يبدو اكثر غموضا وتشعبا ، حيث ينقسم غالبا الى مشاريع ثانويه ، وحيث يكون الفقر غير مستبعد فيها ، الا ان ذلك يبدو هامشيا كما يشير الى ذلك فيكسيليار J. Vexliard ولابيتز J. Labbens وفريزنسكي J. Wresinskl وما تيلارت A. Mattelart .. وغيرهم[17] .

ان استبعاد الفقر باعتباره مؤثرا في انجاز المشروع الثوري ، لا يمكن ان يؤخذ به ، فالفقير الذي اكتسب صفة الفقر نتيجة تسوله أو عدم ممارسته لمهنة وأصبح عاطلا يبدو غير متأثر بتأثيرات النظام القائم ، لان المسافة الاجتماعية التي تفصل بين هذه الفئه الفقيره الهامشيه في المجتمعات الصناعيه ضيقه نسبيا وهي في نفس الوقت لا يمكن قياسها باعتبارها غير واضحه . وان عدم القدره لهذه الفئه على المساهمه في المشروع الثوري تكون بسبب كونها تشكل اغلبية غير مؤثرة في المجتمع . وان غموض موقع هذه الفئة في المجتمع بسبب تشتتها وعدم تنظيمها هو الذي يحدد علاقتها بهذا المشروع الثوري .

ان هذه الفئات الهامشيه في مجتمع ترتكز مؤسساته ونظمه الاجتماعيه على العدل والمساواة الاسطوريه تتناقض وموقعها الاجتماعي ، حيث تعيش وكأنها فئات منبوذه اجتماعياً بشكل غير مشروع الامر الذي يشد هذه الفئات الى المشاريع الثوريه بحكم ظروفها الخاصه في المجتمعات الصناعيه التي تظهر فيها مجاميع متجانسه مع نفسها من جهه ومختلفه عن الفئات الاخرى في المجتمع من جهة اخرى ، الامر الذي يؤدي الى شعورها بكونها فئات اجتماعية تختلف عن بقية الفئات في المجتمع . الا ان طبيعة المجتمعات الصناعيه وكون الفئات الهامشيه قليله نسبياً وذات اثر محدود

---

(١٧) ينظر ما سبق .

لايولد لها الشعور بالقدره على تغيير المجتمع[١٨] كما هي الحال بالنسبه للمجتمعات الناميه حيث تعيش جماهير غفيره بحالة فقر وبؤس وتشعر بسبب زيادة نسبتها بالقدره على تغيير المجتمع عن طريق العنف الجمعي والثوره •

في هذه الظروف تبدو الامور غامضه ، لان الفقر يمكن ان يؤدي في الفئات ذات الوضع الهامشي ويستنوى الطموح الى الحد الادنى لخلق الظروف النفسيه والتنظيميه الضروريه من اجل الشعور والاحساس اللازم لمناقضات بين هذه الفئات الفقيرة والفئات الاجتماعيه التي تسيطر على المجتمع بصوره عامه وعليها بشكل خاص •

ان المشروع الثوري يعمل على تغيير الحياة اللاانسانيه للانسان عن طريق تحقيق المجتمع المتناسق • وان الجماهير الفقيره التي تحافظ على تقاليدها تتضمن قدرة الثوره على تحقيق المجتمع المتجانس ، وهنا يكمن القاسم المشترك بين هؤلاء الناس والثوره لان كلا منهما يسير من اجل انجاز الحدث واكتمال السيطره •

وكما يعتقد توماس منزر Thomas Münzer ، ان الثوره الفلاحيه في فرنسا عام ١٥٢٤ تعني العنف وتمثل في الوقت ذاته العالم القدسي حيث يعامل الانسان بلطف • فان الثورة الماوتسية الصينية تمثل الحلم الذي كان يساور الفلاحين الفقراء بتحقيق مجتمع العدل والمساواة • كما ان الثوره البلشفيه في روسيا حررت القوى الشعبيه وحققت العداله في المجتمع وكذلك الامر بالنسبة لثورة ١٧ تموز ١٩٦٨ في القطر العراقي ، فقد تمكنت من تحقيق التحولات الاشتراكية التي أدت الى تحسين أوضاع الفلاحين والعمال • وانها ما تزال سائرة في طريق البناء الكامل وانجاز الاهداف الكبرى التي رسمت أهدافها وتسعى من أجل استكمالها •

---

(١٨) ان الصراع في المجتمعات الصناعية يتخذ صورة خاصة ومختلفة عما هي في المجتمعات الناميه وذلك بسبب أوضاعها الاقتصاديه والاجتماعيه الخاصه نتيجة للتناقضات بين اشكال العمل والفكر ومواقع الطبقات المختلفه من وسائل الانتاج •

ان الحقائق الاساسيه للمشروع الثوري يمكن تنظيمها حول مفهومين جوهريين : الشمولية والتاريخية ، لانها ترتبط بالانسان وتشمل النظام الاجتماعي الذي يسعى الى تغييره وتجديده ، وخلق المجتمع الجديد .

وان هذه الخصائص تحدد الثورة وتكشف عن طابعها الخاص بها في المجتمع ، وفي الجماهير التي تخضع نتيجة للثورة الى التغيرات الاجتماعية والعقلية وتعرف كيف تقف بوجه الثورة المضادة . فالثوري يعرف ثورته كالبائس الذي يعرف بؤسه .

ان تحليل شمولية المشروع الثوري تعني باختصار الشعور والادراك والتنظيم ، وان علم اجتماع الثوره لكي يحدد المراحل الاساسيه للثوره عليه أن يعود الى التاريخ الخاص بالمشروع الثوري.وان المشروع الثوري لايمكن أن يحقق التغير الذي يحمله في نفسه الا بالمستوى العام الكلي ، حيث يشمل المجتمع برمته ، ويشمل الانسان ببنائه ، حيث يخضعه الى تغيرات فكرية وعقليه تتناسب مع تغيير الظروف والعلاقات الاجتماعيه ، الامر الذي تؤدي الى تغير الشخصيه .

ان الصفه الشموليه للثوره ترتبط بالتغير الجذري للمجتمع والظروف والاوضاع القائمه فيه . والثوره الاجتماعيه لا تعني تغير نظام الحكم فحسب وانما تعني تغير جوانب الحياة كافه كما تحدث تغيرات اساسيه في الطبيعه البشريه .

والثوره تعني من جانب اخر انقطاع التاريخ بين الافعال الاجتماعيه وبين وظائفها . فالثوره اذن ليست مجرد تتابع الحوادث ، تتابعاً تاريخياً ولا مجرد تراكمات افعال وانما هبات جديده في التاريخ . فهي اذن ليست موازنه بين القديم والحديث من السلوك والاتجاهات ، وانما تغيير وتجديد شامل . فالمشروع الثوري يمكنه تغيير المجتمع ، لانه يعني القوه ، ويعني الصراع والحرب التي لا تتوقف ، والثوره تعني حتمية التاريخ .

ان الثوار يحتاجون الى التمسك بتقاليد داخليه واخرى خارجيه في التاريخ ، وهي عباره عن خلق جمعي لمستقبل مشرق وانبثاق قيم جديده .

ان تحليل الحركات التحررية والتغيرات الاجتماعيه في الوطن العربي مثلا، يكشف بوضوح عن التحرر من السيطره الاجنبيه ، وان تحرر واستقلال المجتمع يؤدي وظيفة خاصه ، وذلك يعني التخلص من الاستغلال والنفوذ الاجنبي ، اي الميلاد الجديد للمجتمع .

ان اغلب الحركات الثوريه المعاصره تتميز باطر حضاريه تقليديه . وان الاصلاحات في جوانب معينه من الحياة ، مثل الاصلاح الزراعي ، الذي يغير نوع الملكيه الزراعيه لا تشكل بمفردها ثوره . وهناك من يخلط بين ظواهر الحرب الثوريه وبين الازمات الوطنيه الاجتماعيه ـ الاقتصاديه . الا ان التغيرات الاجتماعيه والفكريه ترتبط بالمشاريع الثوريه نفسها من حيث انها تتم كعمل جمعي يومي . لقد حاول علم اجتماع الثوره في المجتمع الصناعي ان يبين الخصائص الاقتصاديه والاجتماعيه التي يتميز بها بسبب التناقضات في المصالح بين طبقاته المختلفه ، وهذه الظاهره قد تزيد من احتمال وجود مشاريع ثوريه في هذه المجتمعات تسعى لانها استغلال الانسان للانسان .

والثورة بعيدة عن الاسطورة . وان كانت مضطرة ، لاجل تنفيذ مشاريعها الخاصه ، ان تتخذ لها تقاليد معينه في بعض الاوقات ، فان هذه التقاليد لا تستند الى قوانين ورموز خاصة ، وانما تستند الى ما يطلق عليه علم الاجتماع (الذاكره الجمعيه) ، ومن هنا فقد تتخذ الثوره لها بناء وقتيا لحل البناء التاريخي التقليدي لتبني مرحلة تاريخية جديدة . ولكي تنتشر الثوره وتقسم اتساعها ، عليها الانتفاع من الماضي لبناء الحاضر وخلق المستقبل . فالمشروع الثوري يعبر عن تغير اجتماعي شامل للحياة الجمعيه . وان علم اجتماع الثوره يمكن ان يحدد المحتوى لطموحات الجماهير في الثوره محددا ظروفها الموضوعيه . والثوره تنظم طقوسها وتتخلص من ماضيها وتحاول تقديم محتوى ايجابيا لمشاريعها العامه والشامله .

والثوره في حالة اندلاعها ، تظهر صراعا حادا بين انصار التغير التلقائي أو العفوي وبين انصار التغير الارادي ، والذي يحدده ويوجهه قاده ثوريون • وقد يؤدي هذا الصراع ، الذي يتخذ صوره صراع سياسي بين الاحـــزاب السياسيه الى تمزيق الثوار أحيانا ، كما حدث في اسبانيا عام ١٩٣٦ ــ ١٩٣٩، الامر الذي ادى الى فقدانها وضياع قادتها الثوريين ، بسبب محاولاتهـم التوفيقيه بين المثاليه الفوضويه والماديه اللينينيه في مشاريع حزب العمـــال الحكومي ، الذي انبثق بشكل تلقائي بين الجماهير الشعبيه •

ان مورينو Moreno ينطلق من كون الثوره ظاهره جمعيه مثل بقية الظواهر الجمعيه الاخرى ، وهو يعتقد بان هناك طرقا فنيه خاصه بالثوره ، واستنادا على دراساته التجريبيه السوسيومتريه (القياس الاجتماعي) وضع نظريته في « التلقائيه الخلاقه » التي يعتقد بانها تتضمن الاجابه على كيفية دفع الجماهير المستعده للموافقه على الاوضاع الجديده ، وذلك عن طريق التعبئه التلقائيه للجماهير والتي تدفعها للمساهمه بشكل عضوي للعمل على قلب نظام الحكم القائم • ويستخلص ضرورة وضع طرق معينـــة لتعبئة طاقاتهـــا والاستفاده منها •[19] ويميز مورينو بين ثلاثة مستويات للظواهر الثوريه هي :

١ ــ المجموعه الثوريه

٢ ــ المجموعه العفويه أو التلقائيه تحرض الجماهير للعمل المطلـوب

٣ ــ المجموعه التحريريه ، حيث يعمل القائد والجماهير معاً •

وينتقل مورينو من دراساته التجريبيه عـــن الجماعات الصغيره الى الجماهير الثائره • ويبدو ان العفويه او التلقائيه قد امتدت لكـي تؤثر في توجيه الابحاث العلميه • الا ان رأي مورينو هذا بعيد عن الواقع العملـي، حيث ان هنالك صراعاً ايديولوجياً بين الفئات الاجتماعيه المختلفه ، وان ثورة

(19) Jean Maisonneuve, La Psychologie sociale, P.U.F. Paris, 1964, p.p. 82-84.

الجماهير يمكن تفسيرها استناداً الى الوعي الشعوري والصراع الارادي الذي يتحدد ويوجه من خلال الظروف الموضوعيه والماديه وليس الى العفويه الفطريه أو الوعي التلقائي . ان الجماهير الثائره المسلحه بنظرية اجتماعيه ـ ديمقراطية تتصف بالوعي والتنظيم تستطيع أن تحدد مسيرتها وتخطط للوصول الى أهدافها ، وهذا ما يؤكد التضاد بين الثورة العفويه والثوره الارادية ، ويوصف الثوري بالوعي والشعور(٢٠) .

ان التطور التلقائي للحركات الثوريه يؤدي الى الخضوع لايديولوجيه البرجوازيه وهذا يؤدي الى ضرورة الموافقه على ان الحركات الجماهيريه الثوريه تفرض واجبا نظريا سياسيا وتنظيميا . وان نظرية الحزب المنظم الذي يتولى قيادة وتوجيه عمل الجماهير الثورية تفرض على كل المؤمنين بها الالتزام بالتوجيه ، فالحزب الثوري ينظم الوعي ويبلور الشعور الثوري . ويجب الا يقتصر عمل علم اجتماع الثورة على دراسة العفوية فحسب ، وانما عليه ان يسهم في دراسة اتجاهات الجماهير نحو القادة سواء كانت على نطاق الحزب أم على النطاق العام .

وقد تلعب التلقائيه دورا مهما في بعض الاحيان ، ففي فرنسا كلها ، عدا الجانب الشرقي منها،في اواسط القرن السابع عشر، انبثقت انتفاضات شعبية في المدن مثل ديجون وبوردو وروان ومولان واكس ، وفي منطقة النورماندي، وقد كانت هذه الانتفاضات ذات خصائص عفويه تلقائيه . وفي عام ١٧٨٩ عمت فرنسا حركات ثوريه دون ان ترتبط تلك الحركات باتجاه سياسي معين والفتره من ٢٠ حزيران ـ ١٠ اب عام ١٧٨٩ ادت الى خلق حالات من الرعب الجمعي ، وذلك بتأثير « المؤامرة الارستقراطيه » التي حاولت نشر الفوضى. وفي شباط عام ١٨٤٨ ، ظهرت كومونة باريس وثورات تحررية اخرى في أوربا ، بسبب الشعور الجماهيري العام وليس بسبب ظهور قادة معينين ،

---

(٢٠) بوفر اندريه ، الحرب الثورية ، تعريب اكرم ديري والهيثم الايوبي، المؤسسه العربيه للدراسات والنشر لبنان ، الطبعة الاولى لبنان ١٩٧٣ ص ص١٥ ـ ٢٠

ويمكن التمييز بين طبيعة القوى الثوريه وطرق مساهمتها في الثورة ، حيث تسيطر الهيئات الشعبيه وتأخذ على عاتقها مهمة التوجيه .

وفي عام ١٩٠٠ ادى انتشار الافكار الاشتراكيه الى اضراب عام في جنوبي اسبانيا وهو اضراب تلقائي تميز بالعنف وادى ، الى الثوره . كما تعددت الحركات الثوريه التلقائيه في المانيا وانسا وايطاليا وهنغاريا ، وهذا يعبر عن تلقائيه جمعيه لها تنظيمها وطقوسها الخاصه .

ان الضروره التلقائيه تطابق الضروره الموضوعيه (الثوره الارادية)، اي ان الجماهير لها حرية اختيار الموقف التاريخي المناسب . فالثوره كما يقول اندريه بيتر André Pietre لم تعد تتضمن مفهوماً تاريخيا ، وانما يعد لها كما يعد للحرب ، لذا فان الجماهير لابد لها من تنظيم وتعبئة سياسيه لتهيؤ للانفجار الذي يظهر كنتيجة للصراع الاقتصادي .[٢١] أي تبرز هنا ضرورة اعداد برنامج تستند عليه الاحزاب والجماهير الثوريه لكي تقوم بدورها التاريخي في انجاح الثوره وتحديد مسار احداث المجتمع .

اما بالنسبه للقطر العراقي ، فان الثوره اندلعت فيه نتيجة لموقف ثوري موضوعي ، وهي ليست عملا تلقائيا ، او عفوياً وانما تعتبر نتيجة للظروف الموضوعيه المواتيه لنشوب الثوره .

فالثوره لا يمكن ان تحدث نتيجة لتخطيط أو تدبير فقط وانما تحدث نتيجة لتناقضات الاجتماعيه والاقتصاديه وفي الوقت الذي تتهيأ فيه الظروف الذاتيه (الوعي والشعور) يتحول الصراع الى النقطه الحرجه (قلق جماهيري) يؤدي الى مشروع ثوري ثم الى ثورة اشتراكية تساهم فيها الجماهير الثوريه لخوض غمارها ، ولابد لهذه المشاريع الثوريه من الاستناد على الوعي السياسي والتنظيم واعداد استراتيجية وتكتيك الصراع على أسس عميقة من التفكير والتخطيط الذي يستوجب وجود قادة نظريين وحزب

---

(٢١) يودي كرازين ، المصدر السابق ص ٨٢ .

جماهيري قادر على خلق وتوجيه المشاريع الثوريه المنسجمه مع الظروف الموضوعيه بشكل منظم .

واذا كان لابد من تحديد خصائص عامه لاية حركه ثوريه فان الثوره لا تنطلق الا عند استيعابها لقوانين التاريخ وامكانيتها في التعبير عن ارادة الجماهير في تحقيق نزوعها الانساني المشروع وقدرتها على ادراك التناقضات التي سادت الفتره التي سبقت الاعداد لها ، وبمعنى اخر فان الثوره في قطر معين لاتعد استثناء من الحركه الثوريه في العالم وان كانت الظروف الموضوعيه الخاصه بكل مجتمع تحدد مسار الثوره فيه من خلال ما تمليه عليها الظروف في تحديد قدرتها على المواجهه .

ان الاهداف التي تسعى الثوره الى تحقيقها تتبلور وتتحدد اثناء عملية التفاعل الاجتماعي الذي يحدث بين الجماهير الثوريه من جهه وبين المشروع الثوري والظروف الموضوعيه المحيطه بها من جهة اخرى . وقد تكون هذه الاهداف محدوده في المراحل الاولى للمشروع الثوري ولكنها تتبلور وتتضح تدريجيا كلما استمر المشروع الثوري في التنفيذ ، كما تخضع الى عملية التحوير والتعبير حسب مقتضيات الظروف الموضوعيه التي تتأثر بها الثورة . ان العملية الثورية تبقى قاصرة ومعرضة للتخلخل ما لم تتكامل فيها الشروط الاساسيه لانجاحها ، فامتلاك الطبقات ذات المصلحة في التغير الثوري للمواقع القيادية يعد من اهم مستلزمات نجاح العمل الثوري وضروراته ، شريطة ان تبقى الصله بين الجماهير التي تشكل الطبقات والشرائح ذات المصلحه في التغير الثوري وبين قيادتها الثوريه صلة حيه ومتفاعله ، لقطع الطريق على تسرب اي افتراض يمكن ان يعزلها او يقيم بينها شكلا من اشكال التعارض . والمشروع الثوري يخلق في المجتمع نوعا من الرأي العام ، الذي يؤثر بدوره تأثيرا مباشرا في سياسة السلطة بين الطبقات المستفيدة من التغير في المجتمع ، ويساعد على انجاز التغيرات السياسية والاقتصادية والاجتماعية ، ويمتد ليغير كذلك القيم والعقائد والاتجاهات والانماط السلوكيه .

ويعتقد بعض الباحثين مثل ماكيفر MacIver واوكبرن Ogburn ان الثوره تشمل بتغيراتها الجوانب الماديه واللامادیه لحضارة المجتمع ، الا ان التغير في الجوانب الماديه يتم بشكل اسرع مما هو في الجوانب اللامادیه ؛ بل ان التغيرات الاقتصاديه هي التي تؤدي الى تغيرات في القيم والافكار والفلسفه والعلاقات الانتاجيه في المجتمع ، وقد يزداد حجم هذه الفجوه بين الجانبين المادي واللامادي للحضاره في المجتمعات الناميه والمتخلفه اجتماعيا بسبب ما يسود فيها من جهل واميه تساعد على الابقاء والمحافظه على القيم والعادات والمعتقدات الخاصه بالمجتمع نظرا لطبيعة العلاقات الاجتماعيه التي تربط بين الافراد من جهة وبينهم وبين المؤسسات الاجتماعيه من جهة اخرى • وقد تواجه الثوره ثوره مضاده ، تقوم بها الجهه التي تهددت مصالحها سواء كانت تلك الجهه داخليه ام خارجيـــه • وفي حالة نجاح الثوره المضاده فان قادتها يعملون على وضع مشاريعهم ومفاهيمهم في قوالب ثوريه لكي تنسجم مع الظروف الاجتماعيه القائمه بهدف تمويه الجماهير وامتصاص قدراتهـــا وهيجانها وتوجيه جهودها وجهة معاكسه • ومما يساعد على نجاح الثوره المضادة الاختلافات والانشقاقات التي قد تحدث بين الثوار حيث تظهر مناهج ووسائل واساليب متباينة ومتعددة ومن خلال ذلك تنشط الثـــورة المضادة لتستغل ••• ولكي تستطيع الثورة تحصين نفسها ضد هجمات الفصـــائل المعادية وايقاف نشاط الثورة المضادة يجب ان تحدد الموازين الموضوعيـــة الدقيقة في جملة امور تتحدد من خلال المنهج العلمي الواضح ووضع الجماهير في المواقع الواعية والقوية ، ووضع اجهزتها الثورية في حالة معايشة دائمـــة لعملية الثورة •

ان الثوره والمشاريع الثوريه تؤدي بالضروره الى التغيرات الحضاريه التي تؤدي بدورها الى التغير الاجتماعي والتقدم المطرد ، والثوره حتميـــه رغم اختلاف وجهات النظر حول مسبباتها • ولكي تتمكن الثوره من تحقيق النجاح المستمر لابد لها من اعداد النشء وفق أســس ومفاهيم ثورية جديدة تؤدي الى خلق اتجاهات منسجمه ومتوافقه مع احتياجاتها ومتطلباتها •

لقد اصبح من البديهيات المتفق عليها والمسلم بنتائجها ان الاسس العلميه التي تنطلق من الواقع وتتجه في معالجاتها الى المشاكل التي يعيشها ذلك الواقع هي الاساس في بناء اية نظريه ، وان الفكر القادر على استيعاب التناقضات الحاصله في هذا الواقع والتفاعلات التي تتحرك في اعماق شرائحه هو الفكر القادر على رسم الصوره الموضوعيه وهو الفكر القادر على تحديد الرؤية الصائبة في التشخيص وهو بالتالي الفكر الذي يستطيع ان يحرر الانسان من بقايا الركام الثقيل الذي ظل يلازمه طوال سنين ويؤثر في حياته دهوراً متلاحقة .

لقد ظل الانسان في المجتمعات النامية عموماً والوطن العربي خصوصاً يعاني من اسباب التخلف والتجزئه واشكال العبوديه والاستغلال واضطراب الانماط السلوكيه مما جعل حياته حافله بالعجز وموغله بأسباب الحذر الاجتماعي وخاضعه لنوازع التفكك والانتقام . ومن هنا كانت الافكار تتجه الى ادراك هذا الواقع ادراكاً حقيقياً وتدعو الى تلمس جوانب التحول الاجتماعي والتغير السلوكي لغرض الوقوف على الطريق التي تحدد لهذا المجتمع طريق الخلاص واضعة هذه الجموع الغفيره من الناس في الطريق الذي يحقق لها الرفاه ويبين لها المستقبل المشرق ويرفع عنها اعباء الاستغلال الذي ناءت تحت عبئه حقبة من الزمن .

ان التحليل الصائب لواقع المرحله والتفسير العلمي لمجريات امورها يؤكد التوجه الصائب في تغيير علاقات الانتاج بحيث يأخذ الطابع الاشتراكي لتركيز الاسس النوعيه والمتينه من اجل بناء الاقتصاد القومي وتوجيه الجماهير من اجل انهاء حالة التجزئه والتخلف والاستغلال .

لقد اكد علم اجتماع الثوره على التجاوب مع الواقع المشخص من اجل خلق الثوره والسير بها من اجل تحقيق اهدافها . ومن الطبيعي ان

يختلف هذا المفهوم للعصر الذي تنبثق فيه الثوره والمنطقه التي تمتد في اجزائها لتنمو البذور الاولى لها والافكار التي تحدد المسار والمنهج الذي تدور في اطاره وطبيعة الجماهير ـ صاحبة المصلحة ـ التي تتحمل اعباء التفجير والدفاع وتسلم السلطه ، وهذا يعني ان استراتيجية الثوره في كل قطر ترتكز على الظروف السياسيه والاجتماعيه الحقيقيه التي تعيشها جماهير ذلك القطر الى جانب التقاليد التاريخيه وعوامل الاتصال التي تشدها بابناء الامه التي تنتمي اليها والواقع الحي الذي تمر به والقضايا المركزيه التي تمثل محور نضالها ومراعاة الوضع العالمي المحيط بها . ومن هنا كان الاتجاه الواسع والجذري هو الاتجاه الصائب من أجل معالجة التناقضات الكامنه في كل قطر والمعتمده في الاساس على رفض الحلول البتوره والقائمه على المعالجه غير الواعيه وانهاء جوانب العمل البعيد عن التحليل والقاصر عن استيعاب الحتمية التاريخية التي ينطلق باتجاهها الواقع في المجتمعات المنطلقه الى حياة افضل ، لان اي حل من هذه الحلول يعني تشويه الشكل المطلوب وابعاد الثوره عن اهدافها وقطع الشريان الحقيقي الذي يمكن ان يمدها بعناصر القوه ، فالجماهير في كل معركة وفي كل ثوره هي العنصر الفعال فيها ، وهي المحرك الاساسي في دفع قدرتها باتجاه المواقع التي تعطي المعركة حيويتها المستمره وتمنح الثوره مقومات الحياة ، وان القضايا المصيرية التي تتبناها الثورات وتدفع من اجلها اعز التضحيات لا يمكن ان تصل الى الغايه المرسومه او الهدف المنشود اذا لم تعتمد على الجماهير اساساً في الوصول لانها هي صاحبة المصلحه وهي اولى بالمشاركه الفعاله . وقد حققت الجماهير من خلال نضالها وكفاحها قدرتها على تحمل المسؤوليه ، ومن الطبيعي ان تختط كل ثوره طريقها المناسب وهي بذلك تختلف من مجتمع الى اخر حسب اختلاف المعطيات في الميدان الاجتماعي والتاريخي والسياسي وحسب المتطلبات التي يفرضها ويحددها الواقع الاجتماعي والتكوين العام الذي يحكم العلاقات ويحدد السلوك .

المصادر العربية :

١ – يوفران انغربه ، الحرب الثورية ، تعريب اكرم ديري والهيثم الايوبي ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، لبنان ، الطبعة الاولى ١٩٧٢ .

٢ – عبدالمنعم الغزالي الجبيلي ، تاريخ الحركة العمالية والنقابية في العالم ، منشورات مكتبة النهضة ، بغداد ١٩٦٤ .

٣ – يوري كرازين ، علم اجتماع الثورة ، تعريب شوقي جلال ، دار الثقافة الجديدة ١٩٧٤ .

المصادر الاجنبية :

1. André Decouflé; Sociologie des Révolutions P.U.F. France 1968
2. Gaston Bouthoul; Sociologie de La Politique, P.U.F. France 1965.
3. Jean Maisonneuve; La Psychologie Sociale, P.U.F. France 1964.
4. Jean Stoetzel; La Psychologie sociale, Flammarion Paris, 1963.
5. Maurice Duverger; sociologie de la politique, P.U.F. 1973.
6. Pierre Laroque; Les classes soiales. P.U.F. France. 1968.
7. Robert Merton, social theory and social structure, Enlerged Indian Edition New Delhi 1968.